تمهيد:

بعد خروج المرابطين من المنطقة، تركوا فراغا سياسيا لقبائل الصوصو الذين انهو حكم مملكة غانا في القرن 7هـ/13م، فأخدت الأقاليم التي كانت تابعة لغانا تنفصل عنها وتكون دويلات مستقلة، وقد تمخض عن هذا الصراع على ان آل الأمر أخيرا الى قبائل المادنجو المسلمة القاطنة في مقاطعة كنجاب والتي يرجع اليها الفضل في تكوين مملكة مالي الإسلامية بقيادة *سندياتا كيتا*

1. الموقع والتسمية:

تأسست مالي مند زمن بعيد ويقال انه يعود الى 1000 سنة قبل الميلاد، كانت تغطي مساحة شاسعة من الأرض فهي تمتد شمالا الى تخوم المغرب الأقصى وغربا الى المحيط الأطلسي وشرقا الى حدود بلاد بورنو، شاملة ما يعرف اليوم كل من دولة مالي والسنغال وغامبيا وشمال بوركينافاسو وغرب النيجر وجنوب موريتانيا وشمال غينيا بما في ذلك الجهة الشمالية والغربية لنهر النيجر.

حسب الموسوعة الامريكية فان كلمة مالي تعني حيث يقطن الحاكم او الملك، لكن بعض المؤرخين يقولون ان الاسم يعني فرس النهر وهو رمز للقوة في البر وفي المسطحات المائية، اشتهرت أيضا ببلاد التكرور احدى المدن التي خضعت لحكم مالي، وتارة دولة الماندينغ.

2. ملوكهـــــا:

- لم تكن اسرة كيتا هي الاسرة الأولى التي حكمت مالي فقد سبقتها اسر لم تكن مشهورة مثل باكابوكو، تراوري، كوفاتي، الكونانتيين، والكماروبين، حيث كان حكمهم كإرهاصات أولى لقيام المملكة.

حكم سندياتا كيتا:(1240م/1255م) (ماري جاطة):

بعد الحاق الهزائم بملك الصوصو، استولى على مملكة غانا، ويعتبر المؤسس الفعلي لمملكة مالي، اشتهر بماري جاطة هاته التسمية تعني حسب ابن خلدون "الأمير الأسد"، قام بنقل العاصمة في 1240 من مدينة جارب في غيتيا كوناكري الى مدينة نياني التي اشتهرت باسم مالي، زارها ابن بطوطة في 1352 قام ماري جاطة بتقسيم مملكته الى مقاطعات، وولى عليها اقربائه وجعل الحكم فيها وراثيا، قام أيضا بجباية الضرائب من السكان القاطنين في الأراضي التي كانت تابعة لغانة، وشجع الزراعة وحياكة القطن و تجارة الذهب الذي اعتبرت الثروة الأساسية للبلاد أصبحت مملكة مالي في عهده تتسع الى الولوف غربا عند المحيط الأطلسي و الى أواسط النيجر شرقا و من فوتاجالون الى كومي صالح شمالا كانت سياستها ترمى الى التعاون و انشاء سراقات و مظاهرات.

عهد منسي علي (1255م–1270م) :

خلف ابيه سندياتا و هو الأدنى الأكبر يسميه العرب بعلي و هو الذي ادخل لقب مسنى او منسا (السلطان) على ملوك مالي، تابع الفتوحات و عمليات التوسع نجح في الاستلاء على مناجم الذهب و أمن الحدود الشمالية للصحراء وهذا مكنه من أداء فريضة الحج عام 725هـ/1324م، بعد ان استغرق التجهيز لها 5 سنوات مر بتوات وولاتة استقبل استقبال رسميا و شعبيا في مصر ثم وصل الأراضي المقدسة و أدى فريضة الحج و تصدق بمبلغ قدر بحوالي 20 الف من الذهب، عند رجوعه جلب معه ابوا اسحاق الساحلي المهندس و المهندس الليبي عبد الله الكومي، بلغت البلاد في عهده عنفوان مجدها و قوتها باستلاء قواته على حاضرة سنغاي و جاو و تنبكتو، ووجه جيوشه صوب الجنوب الى فوتا جالون على حدود نيجيريا حاليا من بعد تحراك الى مناجم الملح في تغازة و التي كانت تكدا ووصلت سيطرته الى المحيط الأطلسي، وفي أيامه ضمت مالي اليها منطقتي بامبوك وونغارا على نهر السنغال كما بسط نفوده على دولة سنغي الناشئة، وامتازت أيامه بالرخاء والامن، توفي في 738هـ_1337م .

مالي في عهد خلفاء مسنى علي (1270_1311):

لما توفي مسنى علي تعرضت البلاد للاضطرابات تتالى خلالها على العرش الملوك الضعاف اولهم "مسنى والتي" و "مسنى خليفة"، و هما اخوته ثم جاء ضد سندياتا ابوبكر حكم المنطقة عام 1285م حين اغتصب الحكم احد القادة من عبيد العائلة المالكة، و هو ساكورا امتد حكمه حتى 1300 م قام خلال تلك الفترة بغزو منطقة التكرور في السنغال و منطقة ونقارة، و مدينة غاو و تميزت البلاد في عهده شيء من الاستقرار و الرخاء و عمد على تقليد الملوك السابقين و قام برحلة الى الحج لكنه قتل 1300 فعاد الحكم للملكة الى اسرة كيتا الحاكمة .

عهد مسنى موسى(1312_1337):

هو احد أقرباء سندياتا كيتا، في عهده أصبحت امبراطورية مالي قويه وواسعة تمتد من غاو في الشرق الى المحيط الأطلسي في الغرب مرورا بمدينتي تمبكتو وجنى و منطقة فوتا جالون، و في الشمال امتدت مالي داخل الصحراء مستولية على مناجم الملح و النحاس في مدينة ولاته، اما في الجنوب فلامست مالي حدد و نيجريا و البينين، عرف مسنى موسى باسم كانكان او كنكه التي تعني في لغة الرنج "ملك" اما لقبه ينسب لوالدته و هو من اعظم ملوك مالي كان رجلا كريما صالحا وورعا متسامحا، في عهده دخل الإسلام الى البلاط الملكي و اصبح دين الدولة، و أصبحت مالي جزء من العالم الإسلامي اقام علاقات مع مصر ننشر الإسلام في المنطقة الى نيجيريا كما بلغت شهرة مالي من الاندلس الى خرسان، و ظهر اسمه على الخرائط الأوروبية، كان ملما باللغة العربية محبا للعلم، اهتم بالتعليم و بنى المساجد و المدارس و المكتسبات خاصة في تمبكتو، و انشاء جامعة سنكري و راسل بعثات علمية و شجع التجارة و ازدهرت في عهد الطرق التجارية و اهم حدث هو رحلته الى الحج 724هـ-1324 م، توفي سنة 1337م-738هـ

مالي بعد مسنى موسى 1377-1390م :

خلف منسي موسى ابنه **ماغان** الذي كان ولي العهد خلال وجود ابيه في مكة، دام حكمه الى غاية 1341 م، كان ضعيف الشخصية دفع بالبلاد الى الفوضى، انتشل عمه **منسي سليمان** تلك الفوضى (1341_1360) و عمل على اصلاح ما فسد، و جلب

العديد من الائمة المالكية بنى المساجد و المنارات، ذهب الى الحج 1352 م، استطاع إعادة معظم البقاع التي خرجت عن الطاعة باستثناء جاو اقام علاقات خارجية مع سلاطين المغرب حيث في عام 1353م زار ابن بطوطة المنطقة و قام بإكرامه و بعد الإصلاح الثقافي و السياسي توفي وتولى ابنه (**قنبتا**) لمدة 9 اشهر و خلف في الحكم ماريي جاطة الثاني 1360_1374م، الملك الاهون المبذر ، ثم جاء من بعده ملوك اضعف منه، اولهم ابنه **موسى الثاني** 74_87 ، ثم **منسى مغا** الذي قتل بعد سنة بسبب الفتن، بعده جاء **صندكي** وهو رجل من أسرة كيتا كان في المنفى يدعى محمود، جاء لانقاد المملكة، ثم بعده ثلاث ملوك ضعاف حتى سنة 1464م اين أصبحت تابعة لامبراطورية صنغاي التي أسسها سني علي.

3. التنظيمات السياسية والاقتصادية والثقافية:

كانت المملكة تتمتع بنهضة سياسية واقتصادية وثقافية من سنة 1238-1488م، كان نظام الحكم فيها ملكي وراثي في الاغلب، لا يقتصر على الأبناء فقط، بل يتعدى ذلك الى العم وفي بعض الأحيان الى خارج الدائرة مثل **ساكورة**، وكان نمط الحكم إسلاميا في الاغلب تستند فيه السلطة الى الملك بالدرجة الأولى، ويسر دفة الحكم مع الملك نائبه، ومجلس وزراء وموظفيين يسيرون دواوين المملكة، يطلق على النائب اسم "قنجا"، أما الوزارات فتسند لعرب الشمال الافريقي، فقد تولو الخزانة والقضاء والترجمة وكتاب الملك والاستشارة، ومن الوزارات الرئيسية: وزارة الثقافة، والأملاك، وشؤون مياه نهر النيجر، والملاحة النهرية والصيد والغابات والجزية.

والمملكة مقسمة لعدة أقاليم هي: غانة، وزافون، وترنكا وتكرور، وسنغانة وبانبغو وزارا وفيرطا....

وكان لكل إقليم سلطان اسمه "كي"، وتعبير القرية يطلقون عليه اسم الدوجو وتعتبر نوات الوحدة الإدارية

ثم تأتي المدينة التي فيها مجموعة من القرى التي يطلق عليها الكافو، حاكم الولاية يدعى كي .

ومن جوانب النهضة توطيد علاقتها بجيرانها خاصة المغرب الأقصى، وكان للمملكة مؤسسات تعمل على تسيير أمور المملكة، على رأسها القضاء التي تعتبر مهمة رفيعة المستوى وصعبة في ان واحد، والقضات نوعان : قاض العاصمة وهو القاضي الأعلى، وقضاة آخرون يمارسون مهمة القضاء خارج العاصمة والمحكمة نوعان : المحكمة الملكية التي يرأسها الملك وتختص في جرائم الخيانة العضمى، أما الثانية فهي محكمة القاضي التي يتم فيها تعيين القاضي من طرف الملك ويوكل فيها النظر في الجرائم العامة والمنازعات بين الأهالي، وقد عمد جل حكام مالي الى تقوية الجيش، هذا الأخير بلغ دروته في عهد منسي موسى حيث يقول القلقشندي عن قوة الجيش " مقدار عسكره مائة ألف نفر، عشرة آلاف فارس، فرسان خيالة وسائرهم رجالة لاخيل ولا مركب"، وكان جيش منظم مقسم الى قسمين، القسم الأول جيش الشمال قائده "مارن سور"، وجيش الجنوب قائده "ديوان صندكي".

أما عن الازدهار الاقتصادي فقد كان عماده التجارة خاصة مع مدن الشمال عبر شبكة كبيرو من الطرق التجارية، إضافة الى الثروة المعدنية التي تمثل ركيزة الاقتصاد أهمها: الذهب الملح والنحاس، وقد استطاع اهل مالي ضرب عملة نقدية وهي تزن بين من 4-6 غرام من الذهب بالإضافة الى عملات مستوردة، وقد شهدت البلاد أيضا حركة زراعية على ضفاف نهر النيجر وأراضي المملكة، وكانت هناك ثروة حيوانية من مستأنسة وبرية.

كما عرفت مملكة مالي الإسلامية ازدهارا علميا خاصة في عهد السلطان منسي موسى وأخيه منسي سليمان، ويبرهن هذا الازدهار جامعة سنكري ومساجد تمبكتو التي كانت عامرة بأرباب العلم وما احتوته من مناهج علمية في جميع التخصصات، واهم علمائها أحمد بابا التمبكتي ومحمود بغيغ، وكان المجتمع في عهد مالي عبارة عن أسر وعشائر وقبائل يقطنون قرى وأقاليم يمارسون حياتهم العادية، وفق أعراف وأنماط معينة، وكان يهيمن عليه نظام الطبقات حيث ينقس المجتمع المالي الى أربع طبقات وهي:

طبقة الملك وأفراد أسرته، طبقة الفرسان، الطبقة العامة، وأخيرا طبقة العبيد.

4. انهيـار مـالي:

هنالك عدة أسباتب قربت من نهاية مالي وهي:

- سيطرة الطوارق على مدينة تمبكتو وجنى وولاته.
- خروج بعض المناجم الهامة الامر الذي أدى الى تدهور الاقتصاد.
- التنازع على العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة، الذي كلف خزينة الدولة أموال كثيرة
- هجوم قبائل الموسي الوثنية من الجنوب.
- انغماس حكامها في الترف والشهوات الأمر الذي شغلهم عن الاهتمام بشؤون المملكة.
- هجوم قبائل الولوف التكولور من الجنوب الغربي، وتسديد الضربات المؤلمة لها أدى الى التعجيل بموعد سقوطها.
- اهتمام حكام مالي في القرن 8هـ-15م بالمناطق الغربية على الأطلسي وتقوية العلاقات مع البرتغال.
- الصراع الذي شكلته سنغاي والكانم من جهة الشرق عمل على انهاك قوتها وبدأ يظهر نجم صنغاي الى الوجود متمثلة في شخصي سني علي الذي جاء الى الحكم في 1464م.